المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	الاتجاه الفلسفي في أشعار ابن حزم الظاهري
المصدر:	مجلة العلوم الانسانية
الناشر:	جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	نجم، منير عبيد
المجلد/العدد:	ع21
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	81 - 95
DOI:	10.33855/0905-000-021-007
رقم MD:	635838
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الأدب الاندلسى ، الشاعر ابن حزم الظاهري، الإتجاه الفلسفى فى الشعر ، الإتجاه الفلسفى فى شعر ابن حزم الظاهري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/635838

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

نجم، منير عبيد. (2014). الاتجاه الفلسفي في أشعار ابن حزم الظاهري.مجلة العلوم الانسانية، ع21 81 ، 95 - مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/635838

إسلوب MLA

نجم، منير عبيد. "الاتجاه الفلسفي في أشعار ابن حزم الظاهري."مجلة العلوم الانسانيةع21 (2014): 81 - 95. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/635838

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الاتجاه الفلسفي في أشعار ابن حزم الظاهري

م.منير عبيد نجم

التمهيد
نظرة في حياة الشاعر

اسمه ومولده:-

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن اميه بن عبد شمس الاموي (1) وجدّه يزيد اول من اسلم من اجداده، واصله من فارس (2)وجدّه خلف أول من دخل الاندلس من آبائه(3) ولد بقرطبة من بلاد الاندلس سنة أربع وثمانين وثلثمائه في الجانب الشرقي منها (4).

نشأته:-

نشأ ابن حزم الظاهري في كنف والده احمد بن سعيد الذي كان أديباً بارزاً وعالماً صالحاً وإدارياً حازماً و كان ذا مهاره عظيمة بالاوساط السياسية كسب ثقة الحكام وارتقى في مناصبه حتى صار وزيراً لدى المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر(5)وهكذا فقد قضى شاعرنا طفولة مترفة اتيحت له فيها فرص التعلم على ايدي العلماء واللقاء بضروب الادباء والفقهاء فأفاد من ذلك علوما جمة وتفتحت مواهبه وقدراته(6).

عاصر ابن حزم الفتنة التي اضطربت بها الاندلس ولان أباه كان وزيراً للمنصورا بن أبي عامر الحاجب (رئيس الوزراء)الذي كان قد حجر على الخليفة هشام المؤيد واستبد بالحكم دونه،فلما توفي المنصور (392هـ-1..2م) استطاع هشام المؤيد أن يحكم بنفسه وتتبع رجال دولة المنصور فلحق آل حزم من ذلك نصيب وافر تشتتوا به في البلاد .ثم زال الحكم المرواني عن الاندلس وبويع علي بن حمود بالخلافة وتغلب على قرطبة فاتهم آل حزم بأنهم من أنصار المروانيين (7)،ولقد أضاع آل حزم في أثناء ذلك كثيراً من أموالهم وقصورهم وكتبهم (8).

وبعد خراب قرطبة في فتنة البربر انتقل ابن حزم إلى شاطبة وفيها ابتدأ تأليف كتابه (طوق الحمامة)(9).وكان في سنة 418هـ(1.27م)يعيش فيها ،وفي سنة 44.هـ(1.48م)كان موجوداً في جزيرة ميورقة لاجئاً فيها(1.).

ثم صار وزيراً للمستظهر الاموي ولكن وزارته لم تطل فترك شؤون السياسة والتفت الى العلم والفقه والآداب (11).

ثقافته:-

كان ابن حزم الظاهري ذكياً سريع الحفظ واسع الاطلاع متفانياً في طلب العلم ونشره حافظاً لعلوم شتى (12)،تعددت ثقافته تبعاً لتنوع روافدها ما بين علوم دينية وفلسفية وادبية فقد كان عقله متفتحاً لتقبل كل المعارف التي كان الميدان الاندلسي يزخر بها(13) كما افادته حافظته في أن ينفذ بأدنى جهد الى مناط المسائل وجوهر الامور ليملك زمامها ويدرك مقاصدها ولعل الفضل في ذلك يرجع لوالده إذ رباه تربية خاصة فقد كان يشرف على تعليمه بنفسه ويقص عليه بعض الاحداث التي شهدها في وزارته للمنصور بن عامر في ما يسهم في بناء ثقافته العلمية والادبية ويصطحبه معه في مجالس الادباء والمفكرين(14) وهكذا حصل على الثقافة الواسعة على ما يمكن أن يحصل عليه يومئذ طلابها الافذاذ لذا كان موسوعة علمية في مختلف المجالات حتى عدَّ من اشهر علماء الاندلس في زمانه(15).

مذهبه:-

كان ابن حزم الظاهري صوتاً يغاير ما كان عليه جمهور فقهاء الاندلس فقد كان المذهب السائد هو مذهب مالك ولكن ابن حزم الظاهري تمذهب في اول حياته بمذهب الشافعي ثم مال الى المذهب الظاهري (16) ويعلل العلماء ذلك بأنه كان فقيها متحرراً يقول ما يعتقد ويعبّر عما يحس، كره من فقهاء عصره تناقضهم وكثرة تأويلهم ثم ما تورط فيه كثير منهم من ارتكابهم لسيء الاخلاق وقبيح الفعال كل ذلك دفعه الى اللاخذ بظواهر النصوص لانها شيء لا يمكن التلاعب به ولا التأويل(17)فيه يقول(18)

فقلت:هل عيبهم لي غير إنَي لا ... أقول بالرأي إذ في رأيهم فتنُ
وأنَني مُولَعُ بالنصَ لستُ إلى ... سواه أنحو ولا في نصرهِ أهنُ
لاأنثني نحو آراء يقالُ بها ... في الدين،بل حسبي القرآن والسننُ
يابرد ذا القول في قلبي وفي كبدي ... ويا سروري به لو أنهم فطنوا
دعهم يعضوا على صُمَ الحصى كمداً ... من مات من قوله عندي له كفنُ
إني لاعجبُ من شأني وشأنهمُ ... واحسرتا انني بالناس ممتحنُ

يتضح لنا من هذه الابيات ما عاناه ابن حزم الظاهري ازاء توجهه نحو الظاهر والتمسك القوي برأيه يقول في كتابه الملل والنحل"بل الآيات كُلَها حق على ظاهرها لايحلَ صرفها عنه"(19) وانما نتبع ما جاءت به النصوص(2.)والنص لايحل خلافه لان الله تعالى ينص احيانا نصاً لايحتمل تأويلاً(21) وكذلك الاحاديث الموثوقة وصرف الايات والاحاديث عن ظاهرها لايجوز الا ببرهان (22)او بنص من قرآنٍ او حديثٍ اواجماع مُتَيقَنٍ او بضرورةٍ من حسي وعندئذٍ تجب مخالفة الظاهر والعمل بالتأويل على مقتضى البلاغة العربية (23)وهذا ما أغضب عليه الناس ولا سيما الفقهاء وهذا الثبات على الموقف والتشبث به بكل قوة جعل له حساداً ومعارضين حتى من أقرب الناس اليه فقد ناصبه العداء ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزام ،وكان حرياً به أن يقف إلى جانبه في محنته ،ولكنه آثر أن يعين الزمان عليه بدلاً من ان يعينه على الزمان (24)وهكذا يبدو لنا ابن حزم الظاهري كمن كان يخوض حرب جدال وخصال مع معاصريه .ولاشك أن هذا الحال قد حزَّ في نفسه وأورثه كثيراً من المرارة ،ولذا راح يقول بحسرة وأسى (25)

إني لاعجب من شأني وشأنهم ... واحسرتا إنني بالناس ممتحن
ما إن قصدت لأمر قط أطلبه ... إلا وطارت به الأظعان والسفن
أما لهم شغل عني فيشغلهم ... أو كلهم بي مشغول ومرتهن

كأن ذكري تسبيح به أمروا فليس يغفل عني منهم لسن

وكان طبيعياً ان يتصدى الفقهاء بحزم لابن حزم ،فلقد ضاقوا به وسخطوا عليه ولم يحتملوا تكفيره لبعضهم فعمدوا إلى استعداء الحكام عليه واستصرخوا علماء الأمصار ضده ،واستطاعوا أن يثيروا حفيظة المعتضد بن عباد نحوه ،فلم يتورع عن احراق مصنفاته على ملأ من أهل اشبيلية مسايرة للعامة وإرضاء للفقهاء ولابد من ان تكون هذه الحادثة قد تركت وقعاً سيئاً في نفس ابن حزم فما كانت كتب العالِم إلا بضعة من نفسه فكان مما قاله في هذه المحنة(26)

فان يحرقوا القرطاس لايحرقوا الذي
تضمّنه القرطاس ،بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

آثاره:-

كتب ابن حزم كثيرة ومتنوعة غير ان كثيرا منها ضاع في النكبات التي اصابت قرطبة(27)فقد كان ابن حزم الظاهري فقيها متكلما وعالماً لغوياً ومؤرخاً بارعاً واديباً بليغاً ومفكراً رصيناً قال ابن بشكوال في حقه : "كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار" (28)اخبر ولده ابو رافع انه اجتمع عنده بخط ابيه من تأليفه نحو اربعمائة مجلد،تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة(29)فمن كتبه(3.)

الاحكام لاصول الاحكام،اسواق العرب رساله في الامامة (الخلافة)رسالة
في أمهات المؤمنين-التحقيق في نقد مذهب محمد بن زكريا الرازي –التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العالمية والأمثلة الفقهية-جمهرة الأمثال-جمهرة أنساب العرب-حجة الوداع-الرد على ابن النغريلة اليهودي-رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل – طوق الحمامة في الألفة والألاف (يتناول أحوال العشاق وما يعتريهم من الحب والإذعان والسلو والطاعة والهجر وما تقتضيه حياتهم من السفر والمراسلة وما ينغص حياتهم كالواشي والرقيب وما يبهجهم كالوصل)- رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور ؟-الفصل في الملل والأهواء والنحل (عرض فيه للأديان القديمة ومذهب قدماء الفلاسفة وآراء خصومه ،وفلسفة ابن حزم كلها منطوية في هذا الكتاب)- رسالة في فضل الاندلس-المُحلَى(في فروع الفقه)- مراتب الاجتماع- مراتب العلوم- المفاضلة بين الصحابة-فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها- معرفة الناسخ والمنسوخ- النُبذة الكافية في أصول أحكام الدين – نقط العروس في تواريخ الخلفاء.

وفاته:-

كان ابن حزم الظاهري كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه حتى قال فيه ابو العباس بن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين لكثرة وقوعه بالائمة (31)فاورثه ذلك حقداً في قلوب اهل زمانه وما زالوا به يبغضوه الى ملوكهم حتى طرده عن بلادهم ومن ثم" كانت وفاته في قرية له في شهر شعبان سنه ست وخمسين واربعمائة من الهجرة وله اثنتين وسبعين سنة"(32)ودفن في قريته(منتلجتم)التي هي ملكه وملك آبائه من قبله(33)

هوامش التمهيد :

1- **ينظر المغرب 354/1،الذخيرة م14/1/1.، جذوة المقتبس29.،نفح الطيب:364 .**
2- **ينظر وفيات الأعيان**:325/3
3- **ينظر المصدر نفسه:449/3**
4- **ينظر موسوعة شعراء الاندلس:114**
5- **ينظر مختارات من الشعر الاندلسي:64**
6- **ينظر ابن حزم الاندلسي،حياته وادبه:18**
7- **المصدر نفسه:18-19**
8- **ينظر ابن حزم الاندلسي صورة اندلسية :23**
9- **ينظر المصدر نفسه:23**
1.- **ينظر موسوعة شعراء الاندلس**
11- **ينظر المصدر نفسه:113**

12- ينظر ابن حزم الاندلسي – حياته وادبه:2.
13- ينظر الجذوة:291
14- ينظر الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة:395
15- ينظر المصدر نفسه:396
16- ينظر مختارات من الشعر الاندلسي:64
17- ينظر ملامح الشعر الاندلسي:117
18- المورد:99/5
19- الفصل في الملل والاهواء والنحل:ابن حزم الاندلسي:152/3
2.- المصدر نفسه:162/3
21- المصدر نفسه:144/3
22- المصدر نفسه:2.7/3
23- المصدر نفسه:2.9/3
24- ينظر ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابه:136
25- المورد:99/5
26- المصدر نفسه:1.6/5
27- ينظر تاريخ الادب العربي:535/4
28- الصلة في تاريخ أئمة الاندلس:395
29- ينظر الجذوة:291
3.- ينظر تاريخ الادب العربي:535/4-536
31- ينظر وفيات الاعيان:328/3
32-موسوعة شعراء الاندلس:114
33- ينظر ابن حزم ورسالته المفاضلة بين الصحابة:149

الاتجاه الفلسفي في أشعار ابن حزم الظاهري

توطئة:-

لم يجد الاتجاه الفلسفي أرضاً خصبة في الاندلس، بل يُعدُّ من النشاطات الفكرية المحرّمة او شبه المحرّمة او من النشاطات البعيدة عن اهتمام الاندلسيين وميولهم يقول الشاعر ابن الطفيل "ان الاتجاه الفلسفي اعدم من الكبريت الاحمر ولاسيما في هذا الصقع الذي نحن عليه لانه من الغرابة في حد لايظفر باليسير منه الا الفرد بعد الفرد ومن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس الا رمزاً فان الملة الحنيفة والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه وحذرت منه"(1)ويرجع ذلك الى سببين يتجلى الاول منهما في طبيعة الفرد الاندلسي تلك الطبيعة التي تجنح غالباً الى التسهيل والتبسيط في تناول الأمور فهم يعشقون الجمال المتسم بالصفاء واللين ويفضلون تناول الامور من غير تعقيد او تكلّف اوقسر(2)لذا كان الشاعر الاندلسي يحرص جاهداً على حيازة اكبر قسط من صفات الجمال الساذج وتوفير اكثر ما يمكن من السهولة في الفكر والبساطة في المعاني ليخلص نظمه من التعقيد والغموض واجهاد الفكر والعقل في صياغته .

اما السبب الثاني فيتمثل في موقف الفقهاء والخلفاء الاندلسيين الذي اتسم بالتشديد وانكار الاتجاه الفلسفي اذ يرون فيه افساداً لعقائد عامة الناس فضلاً عن زرع الشك في انفسهم اذ يعدونه مزلقاً من مزالق الكفر والالحاد(3)كل ذلك كان له الاثر الكبير في تأخر الفلسفة وتضييق نشاطات التفكير الفلسفي لذا نجد الشعر الاندلسي خالياً من اسماء لامعة في هذا الميدان ،حتى كان القرن الخامس الهجري فظهر ابن حزم الظاهري الذي كان ثورة في تاريخ الاندلس الفكري(4) على الرغم مما لاقاه من عنت وما تحمله من مشاق ومحاربة الفقهاء والحكام وعلى الرغم من ذلك كله ثبت ووقف صامداً ينشر آراءه ويدافع عنها يقول:(5)

أنا الشمسُ في جوِّ العلوم منيرةٌ
ولكنَ عيبـي ان مطلـعي الغـربُ
ولو أنني من جانب الغرب طالعٌ
لجدَ على ما ضاعَ من ذِكريَ النَهبُ

ولي نحو اكناف العراق صبابةٌ
ولاغرو ان يستوحشَ الكلفُ الصبُ
ينزل الرحمن رحلي بينهم فإن
فحينئذٍ يبدو التـأسـف والـكربُ
فكم قائلٍ اغفلته وهو حاضـرٌ
واطلـب ما عنه تجـيء به الكتـبُ
هناك يدري ان للبعد قصـــــة
وأن كســاد العـلـم افتـهُ الـقربُ
فيا عجباً:من غاب عنهم تشوقوا
لـه،ودنـو المرء من دراهم ذنبُ

اذ يعالج الشاعر بوساطة هذه الابيات حالته النفسية وما يعتريه من الم ،اثر انكار اهل الاندلس لفضله ،وتوقعه الرحلة الى العراق،وهي اماني جاشت في نفسه،فهو الشمس المنيرة التي عيبها الوحيد مطلعها من جهة الغرب ولو كان مولده في المشرق لتنافسوا على عمله ورفعوا من قدره،ويشير الشاعر كذلك انهم سيندمون على اعراضهم له عندما يفقدونه ويشعرون بالحاجة اليه والذي يبدو من هذه الابيات شيء من الاعتداد بالنفس ،وهي تعظيم الذات بشكل لافت للنظر(6)

اذن كان ظهوره سبباً في تقدم الفكر الحر وخطوة للامام فازدان فيما بعد القرن السادس الهجري بنجوم الفلاسفة المسلمين في الاندلس من امثال ابن باجة وابن رشد وابن الطفيل (7)والمتمعن في اشعار ابن حزم الظاهري يجد أن الاتجاه الفلسفي يتجلى في شعره عبر اتجاهين اثنين هما :-

الاول :الاتجاه العام (الظاهري)

الثاني :الاتجاه الخاص(الباطني)

المبحث الأول
الاتجاه الظاهري

الاتجاه الظاهري:-

فقد كرّسه ابن حزم الاندلسي لمعالجة نواحٍ اخلاقية وقضايا اجتماعية تأتي النظرة الفلسفية للحب في مقدمتها ولما كان الفكر يتخذ من العقل اداة للمعرفة بينما يتخذ الشعر من الحدس وسيلة لها(8)نتج من ذلك التمازج الفني صياغة المفاهيم المجردة التي لا تتاح الا من خلال ادراك المجهول عبر ايضاح عللهِ واسبابه مما سيؤدي بالنهايه الى نشوء الفكر الفلسفي للحب(9)وبهذا يكون الحب الحقيقي مرحلة سامية يصل اليها الانسان الواعي فاذا كان عماد الفكر الحقيقية العقلية المحضة فالشعر الغزلي ايضا فكر لكن عماده التخييل فالحب ليس من الجهل وسقوط من عين العقل بل هو عند ابن حزم الظاهري غريزة غرسها الله عز وجل في نفوس الخلق تكتمل بين الرجل والمرأة ،لذا اقره الدين والعلم فلا يخلو منه انسان(1.)وقد طور ابن حزم فلسفة الحب وزاد فيها من معاني العفة والتصَون واستهدف فيه تهذيب الغرائز والتسامي بالعواطف وترويض النفوس عن مطالب الغريزة والشهوة الزائلة يقول الشاعر(11)

وددت بان القلب شُقَّ بمديةٍ وادخلت فيه ثمّ اطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلّين غيرهُ الى مقتضى يوم القيامةِ والحَشرِ
تعيشين فيه ما حييتي فأن امُت سكنتِ شغاف القلبِ في ظلمِ القبرِ

فالشاعر يتكأ على اسلوب التعليل المنطقي في حبه فعاطفته المبثوثة في اشعاره الغزلية عاطفة رزينة يكاد العنصر الفلسفي يتغلب ويطغى عليها فهو لاينقاد الى الشهوة ولاينصرف بتيار الغريزة بل يتحكم في كل ذلك بأرادته جاعلاً اسرار الحب والتكتم عليها من الاسرار التي يخفيها حتى على اصدقائه واقرب الناس اليه(12)

للسرِّ عندي مَكانٌ لو يحلّ بهِ
حَيٌّ أذاًالإهتدَى رَيْبُ المَنونِ لَهُ
أميتُهُ وحياةُ السرّ ميتتُهُ
كما سُرورُ المُعنّى في الهوى الولَهُ

وقوله ايضاً(13)

محبّةُ صدقٍ لم تكُنْ بنتَ ساعةٍ
ولا وريتْ حينَ ارتيادِ زنادُها
ولكنْ على مهلٍ سَرَتْ وتولّدتْ
بطولِ امتزاحٍ فاستقرّ عمادُها
فلم يدْنُ منها عزْمها وانتقاضُها
ولم ينْأ عنها مُكثُها وازديادُها
يُؤكد ذا انا نرى كلّ نشأةٍ
تتمّ سريعاً عنْ قريبِ معادها

فيؤكد عبر استدلال عقلي ان الحب من النظرة الاولى ليس صحيحاً فالحب به حاجة الى التعارف والتفاهم والانسجام وما الحب من النظرة الاولى الا ضرب من الشهوة الزائلة ومن ذلك قوله(14)

جرى الحبّ مني مجرى النفسْ
وأعطيتُ عيني عنانَ الفرسْ
ولي سيدٌ لم يزلْ نافراً
وربما جادّ لي في الخلسْ
فقبلتهُ طالباً راحةً
فزاد الياً بقلبي اليبسْ

وفي موضع آخر نجدهُ يعمد الى الفلسفة الاغريقية في فصل الروح عن الجسد جاعلاً اياها مادة لصورته الغزلية قائلاً(15)

لئن اصبحت مرتحلاً بشخصي
فروحي عندكم أبداً مقيمُ

حتى نجد أنّ الشاعر قد ربط فلسفة الحب بالنظرة الافلاطونية عبر التميزبين الحب والشهوة ورفض فكرة التعلق بشخصين في آن واحد مؤكداً وحدانية الحب (16)

كذب المدّعي هوى اثنين حتْماً

مثْل ما في الاصولِ أكذب ماني
ليْسَ في القلبِ مَوضعٌ لحبيبين
ولا احـــــدثُ الامــورِ بـثـانٍ
فَكما العقلُ واحدٌ ليسَ يـدري
خــالقاً غـيرَ واحــدٍ رحمــانِ
فكذا القلب واحد ليس يهوى
غيــر فرد مبــاعد او مــدانِ

فهو يؤمن بالوحدانية سواء أكان على صعيد الدين أم الحب ويستنكر التقلب فيه .
ونجده ايضا يتعرض لمعانٍ فكرية تترشح من قضية الحب وماهيته بأسلوب منطقي وهي قضية التذلل للحبيب يقول(17)

ليس التذلل في الهوى يُستنكر
فالحبُّ فيه يخضعُ المستكبرُ
لاتعجبوا من ذلتي في ترحالةٍ
قد ذلّ فيها قبلي المستنصرُ
ليسَ الحبيبُ مماثلاً ومكافياً
فيكونَ صبرُكَ ذلة إذ تصبرُ

تُفاحـةٌ وقعـتْ فآلـم وقعُـها
هلْ قطْعُها مِنكَ انتصاراً يُذكرُ

فهو يعمد الى اسلوب الاقناع المنطقي في اثبات فكرته مستثمراً مناظراً استقاها من مشاهد يومية مألوفة للقارئ للوصول الى مبتغاه، ومن هنا نشأ ت عنده **قضية الموت حباً** وهي قضية عظيمة لا يفقهها الا من عرف فلسفة الحب وماهيته يقول(18)

هل لقتيل الحبّ من وادي
أم هل لعاني الحبّ من فادي

إذ يروي لنا ابن حزم الظاهري في كتابه(طوق الحمامة)حادثة تؤيد ما يذهب اليه قائلاً"وأعرف من اتى يودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد مات ،فوقف على آثاره ساعة،وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كئيباً متغير اللون،فما كان بعد ايام قلائل ،حتى اعتل ومات "(19)

وفي موضع آخر نراه يعمد الى افادة التشخيص في انسنة المعنويات كي يترجم ملمحاً مادياً خارجياً الى ملمحٍ نفسي داخلي يقول(2.)

ولمَّـا تروَّحـنا بأكنافِ روضــةٍ مُهدّ لة الأفنانِ في تُربها الندي
وقد ضحكتْ أنوارُها وتضوَّعتْ أساورُها في ظلّ فيء مُمـدَّدِ
وأبدتْ لنا الاطيار حُسْنَ صَريفها فَمنْ بين شاكٍ شَجْوه ومْغـرّدِ
وللمـاءِ فيمـا بيـنـنـا مُتصرّفٌ وللعين مُرتـادٌ هنـاك ولليدِ

ان افادة تشخيص الطبيعة في الابيات السابقة هي افادة ذهنية فكرية لان الفن الذي يعدم فضيلة العقل وتوازنه – في نظر ابن حزم الظاهري – يعدم في آلان ذاته قدرته على البقاء والخلود وهذا المصداق ينصرف حتى الى الشعر الوجداني عنده فقد اخذ يجسد تباريحه وشوقه وكوامنه النفسية المختلجة الى محبوبته عبر عناصر الطبيعة غير ان آفة التعقل في شعره كانت سبباً في اخفاق الشاعر بما يحسه من الوجد وانسنتها عبر مظاهر الطبيعة بالافصاح عن احاسيسه وكوامن نفسه حتى جعل الشعر يجري في مخدع العقل والفلسفة(21)

وابن حزم الظاهري جياش العاطفة شديد التأثر بالجمال ومما ينم على تذوقه لمحاسن المرأة قوله(22)

يعيبونها عندي بشقرة شعرها
فقلت لهم:هذا الذي زانها عندي
يـعيـبون لـون الـنـور والـتـبر ضِلـةً
لرأي جهول فـي الغوايــة ممتــد
وهل عاب لون النرجس الغض عائب
ولون النجوم الزاهرات على البعـد
وابـعد خلـق الـلـه مـن كـل حكمـة
مفضـل جرم فاحم اللـون مســود
بــه وصفـت الـوان أهــل جهـنـم
ولبسـه بـاكٍ مثكـلِ الاهـل مـحتـد
ومذ لاحت الرايات سـوداً تيقنت
نفوس الورى ان لاسبيل الى الرشد

وتشف الابيات عن اعتداد الشاعر بذوقه وثقته بنفسه ولو كان في ذلك ما يغاير رأي سائر الناس وهذا ما دأب عليه ايضاً طوال حياته من جهره بافكاره وحرصه على اعلان الحقيقة دون أنْ يهتم بما ينجم عن ذلك من رضا او سخط كما تعكس القصيدة من جهة اخرى نزعة ابن حزم الى الاستدلال العقلي والقياس المنطقي وتنم عن ميله الى البرهان والمحاجة الفلسفية فضلاً عما تنضوي عليه هذه الابيات من دلالات اجتماعية ونفسية فبياض الاجساد وشقرة الشعور اصبحتا في عصره شائعتين في المجتمع الاندلسي فلم تعد الوجوه السمر والشعور الفاحمة سائدة في هيئات الاندلسيين واشكالهم(23)

ولعل النزعة الفلسفية لابن حزم الظاهري تبدوعلى نحو جلي عند تناوله لمعنى اخلاقي اوسمة يريد الافصاح عنها اذ يستطرد من المعنى الى تفصيله واظهار صحته بالبينات والشواهد وهي امور تكشف لنا الى أي حدٍّ تطّبع ابن حزم الظاهري بطباع الفلاسفة والمتكلمين فمن البديهي ان علم الاخلاق فرع من فروع الفلسفة وشعبة من شعبها (24)وهو يبحث في السلوك الانساني والمقياس الذي تقاس به الاعمال الخيرية والشّرية ليفعل الانسان ما ينبغي له فعله ويترك ما ينبغي له تركه والقضايا الاخلاقية عملية تطبيقية بأكملها لانها دراسة للاعمال والافعال من حيث حسنها وقبحها لادراسة لآراء ومعتقدات من حيث صوابها وخطاؤها فهو يحل مشاكل عملية لافكرية (25)لذا غدا شعره في هذا المجال جدلياً انضوائياً يقوم على النقاش والمجادلة ولاسيما عند معالجته للآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة في عصره يقول(26)

أباح ابو مروانَ حُرَّ نسائهِ
ليبُلغ ما يهوى من الرشا الفَردِ
فَعاتبتُهُ الدَّيوث في قُبح فعلهِ
فأنشدَني إنشادَ مستبصرٍ جلدِ
لقد كنتُ أدركتُ المُنى غير أنني
يُعيّرني قومي بإدراكها وحدي

فهو يدين ظاهرة الخلاعة التي كانت منتشرة في عصره ويحذر منها ويصفها (بقبح المعصية)وهي ظاهرة اجتماعية مستفحلة في المجتمع الاندلسي مما يدفع ابن حزم الى محاربتها والوقوف ضدها ويقول في وصفه رذيلة الكذب(27)

وأكذبُ من حُسنِ الظنونِ حديثةُ
وأقبحُ من دينٍ وفقرٍ ملازمِ
اوامرُ ربّ العرشِ أضيعُ عندهُ
وأهونُ من شكوى إلى غير راحمِ
تجمَّعَ فيه كلُّ خزيٍ وفضحةٍ
فلم يُبقِ شتماً في المقالِ لشاتمِ
وأثقلُ من عذلٍ على غير قابلٍ
وأبردُ برداً من مدينة سالمِ
وأبغضُ من بينٍ وهجرٍ ورقبةٍ
جُمعنَ على حرّانَ حيرانَ هائمِ

فصفة الكذب ذميمة وغير مرغوب فيها وقد اثبتَها الشاعر لمهجوه كاشفاً – عبر هذه الابيات التي ضمنها الشاعر الحجج والبراهين –للقارئ عن صفة الكذب التي لازمت المهجو حتى أصبحت هذه الصفة المذمومة متجسدة فيه ملازمة له ويقول في رذيلة النميمة (28)

أنمُّ من المرأةِ في كلّ ما درىَ
واقطعُ بين الناسِ من قصبِ الهندِ
أظنُّ المنايا والزّمان تعلمّا
تَحيلهُ بالقطعِ بين ذَوي الوُدَّ

واصفا عبر هذين البيتين وباسلوب عقلي آفة النميمة في قطع اصر المودة بين الناس وتشتيت ذوي الرحم ولعل هدفه من وراء ذلك ليس التعرض بالمجتمع الاندلسي فحسب انما تحذير الناس من هذه الصفات غير الحميدة مستعينا بالمعاني الاسلاميه في ذلك

والمتمعن في ابيات ابن حزم الاندلسي يجدها تخلو من جمال الصورة وسعة الخيال فهي عبارة عن افكار ومفاهيم منطقية في قالب شعري فهو لاينظم الفلسفة شعرا انما يلبس افكاره ومعانيه حلة الفلسفة (29) يظهر ذلك جليا في رثائه لعبد الرحمن المرتضى اخر خلفاء بني اميه في الاندلس (3.)

أساعةُ توديعك ام ساعةُ الحشر
وليلةُ بيني منك ام ليلة النشرِ
وهجرك تعذيبُ الموحّد ينقضي
ويرجو التلاقي ام عذابُ ذوي الكفرِ
سقى الله اياماً مضت ولياليا
تحاكي لنا النَّيلوفر الغضّ في النّشرِ
أليس يحيطُ الرَّوح فينا بكلّ ما
دنا وتناءى وهو في حجُبُ القدرِ

كذا الدهُر جسمٌ وهو الدَّهر روحهُ
محيطٌ بما فيهِ وان شئتَ فاستقرِ
إتاوتها تُهدى إليه ومنهُ
تقبلها منهم يُقاوم بالشّكرِ
كذا كل نهرٍ في البلادِ وإن طمتْ
غزارتهُ ينصبُّ في لجّ البحرِ

فهولا يصف عبر هذه الابيات مرثيه بالشجاعة والكرم والجود فحسب انما يحاول ان يرسم للقارئ صورة شعرية لمثل انساني عالٍ تمليه عليه افكاره وتأملاته الفلسفية تلك التأملات التي تعلي من شأن الروح وتراها حقيقة الانسان وجوهره وتحط

من قيمة الجسد وتعده الاداة التي تستعملها الروح وتسيره حسب مشيأتها وتدبره وتعنى بأمره (31)وهي افكار استقاها الشاعر من فلاسفة الاغريق امثال فيثاغورس وسقراط وافلاطون فقد اجمع هولاء الفلاسفة على أنّ الفضائل والسعادة كلها ترجع الى الروح وحدها وان البدن ليس الا آله لها وان في الموت خلاصها وتحريرها (32) موظفاً هذه الحقيقة العقلية في بناء صورته الفنية .

هوامش المبحث الاول

1- ابن طفيل قضايا ومواقف:57
2- ينظر الشعر في ظل بني عباد:66
3- ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس:73
4- ينظر الشعر في ظل بني عباد:188
5- المورد:1.1/1
6- ينظر ابن حزم الاندلسي شاعراً-دراسة مضمونية فنية (رسالة ماجستير):44
7- ينظر الشعر في ظل بني عباد:188
8- ينظر اتجاهات شعر الغزل في عهد الطوائف(رسالة ماجستبر):1.5
9- ينظر المصدر نفسه:1.6
1.- ينظرالمصدر نفسه:1.6-1.7
11- المورد:77/2
12- المصدر نفسه:1.2/5
13- المصدر نفسه:71/2
14- المصدر نفسه:95/3
15- المصدر نفسه:95/5
16- المصدر نفسه:99/5
17- المصدر نفسه:75/2
18- المصدر نفسه:1.6/3
19- طوق الحمامة:96
2.-المورد:67/2-68
21- ينظر ابن حزم الاندلسي شاعراً-دراسة مضمونية فنية(رسالة ماجستير):25
22- المورد:69/2
23- ينظر ملامح السعر الاندلسي:121
24- فلسفات اسلامية:215
25- المصدر نفسه:216
26- المورد:27/3
27- المصدر نفسه:94/5
28- المصدر نفسه:7/2.
29- دراسات اندلسية في الادب والعلم والفلسفة:95
3.- المورد:75/2
31- ينظر في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام:32
32- قصة الفلسفة اليونانية:142

المبحث الثاني
الاتجاه الباطني

الاتجاه الباطني(الخاص)

استمده ابن حزم الظاهري من ثقافته الجدلية فقد كان يهرب اليه من قسوة الظاهر وحدة صلابته(1)اذ كان لجدلية الحياة والموت التي قوامها زوال الدنيا وقصر اجلها وتقلب احوالها ما يؤكد نضجه الفكري لقد انماز ابن حزم الظاهري عبر هذا الاتجاه بالتلميحات والايحاءات التي تدل على مدى اطلاعه وثقافته الواسعة فقد استطاع بما رزق من موهبة وملكة ادبية ان يغترف من منهل الحكمة ومن النواحي كافة فمن جهة هو قد خبر الحياة وعاش ردحاً من الزمن في كنف الخلفاء والامراء ومن جهة اخرى استطاع ان يجوز علم الفلسفة والمنطق مما قاده الى نتائج عقلية فلسفية في شعره (2)

فالقاريء لاشعار ابن حزم الظاهري يجد ان نظرته لثنائية الحياة والموت قد جاءت متفرقة متناثرة في شعره وهي وإن كانت شذرات قليلة الا انها تعج بالنضج الفكري والنظرة الفلسفية للامور ،فهو يرى الايام بتصريفها وتقلبها لايقر لها حال ،تفرح الانسان حياً وتبكيه دهراً لا يأمن العاقل غول مصائبها،وتمر هذه التأملات في ذهنه فإذا هي تجري ابيات من الشعر على لسانه يحسها فؤاده فتتجلا حكمة الموت والحياة في شعره بصورة واضحة ومن ذلك قوله(3)

أعارتْكَ دُنْـيا مُـستردٌ مُعارهَـا
غضارةَ عيشٍ سَوْفَ يذوي اخْضرِارُها
وهلْ يتمنَّى المُحكمُ الراي عيشَةً
وقدْ حـانَ من دُهْم المنايـا مزارُهـــــا
وكيفَ تلذّ العينُ هجعة سـاعةٍ

وقدْ طـالَ فيما عـاينتـهُ اعتبارُهـــا
وكيفَ تقرّ النَّفسُ في دارِ نقلةٍ
قد استيقنت ان ليـــسَ فيها قرارُهـــا
أليس لها في السَّعْي للفوز شاغِلٌ
أما في توقِّيها العـذابَ ازْدجـارُهـــا؟

والمتأمل لهذه الابيات يجدها تأملات فلسفية تتجاوز ما تعارف عليه عامة الناس من ان السعادة في الاغتراف من متاع الدنيا وانما تنفذ الى ما يتخللها من الم وحسرة فإذا كان اصحاب الزهد الديني يصدرون في زهدهم عمّا يوجه اليه الدين من اهتمام بالحياة الاخرة طلباً لنعيم الاخرة فابن حزم الظاهري لايضع اهتمامه للاعتبارات الدينية وانما يصدر في زهده عن تفكير خالص ورؤية خاصة بالحياة قوامها التأمل العقلي (4)

فالشاعر يتأمل في فناء الدنيا وزوال متاعها حتى يراها هينة الشأن قليلة القيمة لاتستحق ان يحيا لها الانسان اوان يحرص عليها ومن ثم فأنه يزهد فيها،فالموت قد قدم الحجة للعاقل على تفاهة الحياة وغدرها .وهكذا استطاع الشاعر ان ينفذ بصيرته الى حقيقة الحياة وتقلب احوالها.

ولما كان علم الفلسفة والمنطق احد اهم الركائز الثقافية التي استند عليها ابن حزم الظاهري في تحليله للامور واستخراج الحكمة منها فانه يدعو الى اكمال العقول والتدبر في امر الموت واتخاذ العبر والدروس منها ومن ذلك قوله(5)

ولاتتخير فانيـاً دون خـالـد
دليل على محْضِ العقول اختيارُها
وَاياكَ ان تغترَّ منها بما ترى
فقد صَحَّ في العقـلِ الجليّ عيارُهـا

وقوله ايضاً(6)

دع عنك داراً تفنى غضارتها
ومكسباً لاعبـاً بمكسـبـهِ
لم يضطرب في محلها احـدٌ
الا نبـا حـدُهـا بمضطربـهِ
من عرف الله حق معرفهِ
لوى رحلّ الفؤاد في رهبـهِ
فكيف النار للمسيء اذاً
عاج عن المستقيم من عصبهِ

ان فلسفة الحياة والموت تبدو ظاهرة وبصورة جلية في هذه الابيات لكل من يمتلك معرفة بسيطة وروحاً تحس الشعر فقد عمد ابن حزم الاندلسي الى اعمال العقول باسلوب الاقناع المنطقي للوصول الى عدّة نتائج تتمثل بالزهد في الحياة وتركها عبر مجموعة من المقدمات قوامها فناء الدنيا وقصر عمرها وانهاء لذتها ، وهو بهذه الفلسفة يعود بنا الى فلسفة المعري ورأيه في الحياة والموت ولكن بصياغات مختلفة تبعا لاختلاف المعطيات الثقافية والفكرية لكل عصر (7)فكلا الشاعرين ما ان يذكران حقيقة عقلية حتى يربطانها بمجموعة من المقدمات توصل القارئ وباسلوب منطقي لايترك مجالاً للشك الى نتائج عقلية ومن ذلك قول ابن حزم الاندلسي (8)

فما هذه الدار إن حصلتْ
حقيقتها غير طيف ألمْ
سيفنى العزيز ويفنى الذليل
وتفنى القوى ويفنى الألـمْ
يبـيدُ الجميـعُ فلا تغتـرِرْ
بمـا لايـدومِ لمنْ لـم يدمْ
فأيـن الذيـن بنـوا تدمـراً
وباني البرابي وباني الهرمْ
وأين الألى أحكموا قادساً
وعـقد قنـاطرهـا والصنـمْ
أولئك أهل القوى قد مضوا
كما قد مضى سد سيل العرم
فمن حال طفل الى صبوة
وشـرخ شباب ويأتي الهرم
وتأتـي المنـية لابـد أنْ
يطيف بنا حكمهـا الملتزمْ

ومن بعد ذلك دارُ الجزاء
وما قد مضى فكماضي الحلمْ
فدار النعيم لأهل الفلاح
ونارُ لمن قد عصى تضطرمْ

فبادرْ قبيل حلول الردى
فتندم إذ ليـــس يغني النـدم

لقد كان هذا الشعر مكرساً لمخاطبة العقول واثارة التأمل لسرعة زوال الدنيا وتقلب احوالها وهو احد محصلات التكوين المميز لثقافة ابن حزم الظاهري إذ نحس في اثناء قرائتنا لقصيدته انه يزهد في هذه الدنيا التي لاتستحق كل ما يعانيه الانسان من اجله فأنها في نظره لحظات تمر ومن بعدها يأتي الموت الذي لايعرف كبيراً اوصغيراً معتمداً اسلوب الاستنباط الرياضي الذي اعتمده ديكارت(9) وسلم به العقليون من بعده ويتلخص في استخراج الحقيقة من البديهيات التي يجزم بها العقل لذاتها لا لدليل خارجي يثبت صدقها فينتقل الذهن مباشرة ودون توسط عمليات فكرية من قضية معلومة الى حقيقة مجهولة وقوله ايضاً (1.)

لاتُتبع النَّفس الهوى
ودع العرض للمحن
ابليس حيٌّ لم يمت
والعين بـابٌ للفـتن

فنلحظه يرسم صورة النفس وكأنها انسان يتبع الهوى ولما كانت العين هي اول ما يمد الفكر الانساني بالصور الخارجية فهي باب للفتن .وفي موضع آخر نجده يضمن اشعاره الفاظاً خاصة بعلم المنطق كقوله(11)

ولما رأيت الشـــيبَ حل مفارقـي
نذيراً بترحال الشباب المفارقِ
رجعتُ الى نفسي فقلتُ لها انظري
الى ما اتى هذا ابتداء الحقائقِ

فالشيب وان كان امراً مألوفاً للجميع الا انه في فلسفة الشاعر وقفة للتأمل والتفكر اذ يرى بمقدم الشيب البدايات الصحيحة للحقائق و المعرفة الانسانية وقوله(12)

ترى كـــلَّ ضـدٍّ بـــه قائمـــاً
فكيف تحدُّ اختلاف المعاني
فيا ايها الجسمُ لا ذا الجهاتٍ
ويـــا عـرضـــاً غـيـــر فـــان
نقضت علينا وجوه الكـــلامِ
فما هو مُذ لُحت بالمستبانِ

وقوله ايضاً(13)

إذا ما وجدنا الشيء علّة نفسه
فذاك وجود ليس يفنى الى الابدِ

وهي تلميحات وإيحاءات ظلت مستمدة من ثقافته الجدلية التي استمدها تارة من الفلسفة الافلاطونية التي ترى ان النفس هي العنصر الجوهري في الانسان وانها ذات استقلال فلا يدخل البدن في تعريفها ولايعد جزءاً من ماهيتها فهي المبدء الذي تفيض منه الحياة على الجسم وهي التي تحركه وتعنى بأمره (14) وتارة اخرى من فلسفته الاسلامية التي ترى أن ما كان واجباً بالذات لا يمكن أن يكون ممكناً او ممتنعاً بالذات لان معنى وجوبه بالذات أنه لم يوجد بسبب مُوجد لان ما بالذات لا يتغير ولا يزول وهو الله سبحانه عز وجل لذا اتفق الفلاسفة على انهم من وجب له القدم امتنع عليه العدم وهذه القضية تعد من أمهات القضايا الفلسفية التي تناولت وجود الله عز وجل (15)التي كانت مداراً للمجادلة والنقاش عند الفلاسفة القدامى والمحدثين من المسلمين وغيرهم .

لقد افرزت هذه الفلسفة - التي آمن بها ابن حزم الظاهري واتخذها منهاجاً له في حياته- ايثاره للعقل وعده فضيلةالنفس الاولى والوسيلة الى كمالها وسعادتها وهو ما نجد جذوره عند فلاسفة الاغريق القدامى فمثلا سقراط يرى ان العقل والمعرفة منع الاخلاق الفاضلة ومصدر الخير للانسان(16)ولذا نراه مراراً وتكراراً يعزو هو وافلاطون في جمهوريته ما في الطبيعة البشرية من فساد وشر الى الجهل والحمق والطيش وان التفكر والتعقل هو الذي يكبح جماح الشهوات الانسانية(17)وفلاسفة الهنود يرون ان الجهل هو وثاق النفس بالمادة وخلاصها يكون بالعلم لان النفس اذا احاطت بالاشياء عقلت ذاتها وادركت ما للمادة من خسة وفناء فاستغنت عنها وتحققت ان ما كانت تظنه خيراً ولذة هو شر وشدة فحصلت على الحقيقة بالتدبر والتعقل(18)والفيثاغورسيون يرون ان تطهير النفس لايكون الا بالتفكير في الفلسفة والعلوم (19)ويرى هيجل ان كل ما هو عقلي حقيقي وكل ما هو حقيقي عقلي(2.)

وقد تأثر فلاسفة المسلمين بهذه الفلسفة فابن سينا(1.37م)يرى ان الفلسفة هي تاج الفكر واخوان الصفا يقررون ان المعرفة لب حياة النفس وعنوان التقدم العقلي في الامة(21)

ولا غرو ان يتأثر ابن حزم الاندلسي بهذه الفلسفات حتى يجدها القارئ مبثوثة في اثناء شعره فالنظر العقلي عند الشاعر هو اداة المعرفة الصحيحة وان المعرفة الحقيقية والسعادة والاخلاق تنال بالعقل يقول(22)

إنما العقـل اســاس فوقه الاخلاق سورْ
فتحل العقـــل بالعـل م والا فـــهـــو بـــورْ
جاهل الاشياء اعمى لايرى حيـثُ يـدورْ
وتمـــام العـــلم بالـــع م والا فـــهـــو زورْ
ملاك الجـود بالنجـــا دة والجبن الغـرورْ

فخير النفوس في نظر الشاعر من تحلت بنور المعرفة وعرفت ذاتها وماهيتها ومم تكونت وبم حلت وان الجهل بذلك رزء شديد تخب منه النفس في ظلمتها وتجعلها تتصف بمساوئ الاخلاق وقوله(23)

ولا تتخير فانياً دون خالدٍ
دليل على محض العقول اختيارها

وقوله ايضاً(24)

وإياك ان تغترَّ منها بما ترى
فقد صحَّ في العقل الجليّ عيارُها

وفي قصيدته يدعو للتفكير كما في قوله(25)

أعمل الناس التفكر في الذي
له خلقوا ما كان حياً بضاحكِ

ومن هنا فقد كان هدف الشعر عند ابن حزم الظاهري هو مخاطبة العقول وإثارة التأمل عبر الفكر وهو احد محصلات ثقافته الفلسفية والدينية .

وتظهر نزعته الفلسفية والمتمثلة في اثبات حدوث العالم وصدق نبوة الرسول(ص) عبر مجموعة من الادلة والبراهين تخاطب العقول قبل العاطفة في ابيات تخلو من أية دلالات فنية او رمزية سوى انها ادلة منطقية تحاكي عقلية المستمع يقول(26)

ومن هيئة الفلك المستدير ... وقفت على حده المنتظمْ
وما فيه من فلك دائرٍ ... ومن كوكب قاطع كالعلمِ
فأكتبرها قاصداً مغرباً ... وسائرها جهة الشرق أمْ
إدارة رب لها منشئ ... يصرفها امرهُ حيث حم
يخلف ما بين ادوارها ... سنن راتب مستتمْ
ليعلم اهل النهى انها ... مُدرة لحكيم حكم
وأن ليس تختار شيئاً ولا ... لها الحكم بل لإلاه الأممْ
يُدير بأزمانها دهرها ... فيثبتُ مبدؤها للفهم
وتشهد ان الذي صاغها ... هو الواحد الحق باري النسمْ
هو الاول المبتدي خلفها ... كما شاء إذ شاء فرْقٌ وضمْ
فأبدى الزمان وأبدى المكان ... وما فيهما صاغ بدءاً ولم
هواءٌ وماءٌ وارضٌ ونارٌ ... ومشرقُ انوارها والظلم
نهارٌ مضيء وليل أحم ... وبحرٌ عميقٌ وطودٌ أشم
وركب لاميها كيف شاء ... سُكان برٍّ وسكان يَمْ
ونبْتٌ يقومُ على ساقه ... وآخر لاساق ذيُعليهِ ثمْ
بلا فيم قطعاً ولا لمْ ولا ... هنالك ممْ ولا فيه كم
ولا كان شئٌ سواه له ... مثالا ولا مُخرْباً ما نظم
فصاغ العقول كما شاءها ... فمن شاء أذكى ومن شاء أصمْ
وركبها في النفوس التي ... كما شاء انشأها ربكمْ

.
.
.

فأبدى اللغات واعطى العلوم ... وأفشى الصناعات والكل زمْ
ولولا التعاليمُ لم ندرها ... ولا عاش حيٌّ ولم تغْذُ أم
فصحَّ بذلك إرسال منْ ... به علم الناس ما قد علمْ
فيالك برهان حق بدا ... فجلى من الجهل ما قد أهمّ
بصدق النبوة والمبتدي ... لخلق الجميع ومنشي النعم
فأرسل مرسله بالهدى ... على ما قضاه وما قد حتم
مُحمد المصطفى بالكتاب ... به انبياء الهُدى قد ختم
فشق له القمر المستنير ... بحضرة راضين أو من زعمْ
وأبدى الينابيع من كفه ... فأروى به الجيش والجيش حمْ
وأعجز في نظمْ قرانه ... أولي حضرٍ وبداة الخيم

ومن الثابت أنّ الهدف الاول للفيلسوف هو معرفة السبب البعيد وعلة العلل وبما ان السبيل الوحيد الى هذه المعرفة هو العقل(27)لفت ابن حزم الاندلسي عبر ابياته الناس الى الدلائل الكونية من خاق السموات والارض وما فيها من عجائب المخلوقات وامرهم باعمال العقل فيها ليصلوا الى معرفة الخالق عزَّ وعلا وصدق نبوة الرسول(ص)وقد عبر ابن رشد عن هذا النوع من التدليل بدليل العناية والنظم(28)وقال اتباع الفلسفة اليونانية :ان الكون سلسلة من الحوادث وكل حادث لابد له من مُحدث وللعالم إذن محدث وهو الله عز وجل(29)

وإذا كان عامة الشعراء اعتادوا على مدح خلفائهم ومرؤوسيهم بالمعاني التقليدية المعروفة من الشجاعة والكرم والإباء نجد ابن حزم الظاهري ينحو منحىً فلسفياً في مدحه للخليفة بقوله(3.)

أمن عالم الأملاكِ أنت ام انسيُّ؟
أبنْ لي فقد ازري بتمييزي العيّ

أرى هيئةً انســـيةً غير أنــهُ
إذا أعمل التفكيرُ فالجرمُ عُلويُّ
تبارك من سوَّى مذاهبَ خلقه
على انكَ النورُ الانيقُ الطبيعيُّ
ولاشكَّ عندي انك الروحُ ساقهُ
إلينا مثالٌ في النفوسِ اتصاليُّ
عدمنا دليلاً في حُدوثك شاهداً
نقيــسُ عليــه انــك مرئـــيّ

فالشاعر يخرج ممدوحه من مصاف البشر ويرفعه الى مرتبة الالوهية مستقياً جلَّ معانيه تارة من نظرية المثل لافلاطون (31)التي تقسم الوجود على قسمين عالم علوي سماوي تكون فيه المثل وهي صور مجردة لاتتغير ولا تفسد ولا تموت وعالم سفلي ارضي يفسد ويتغير ويموت،وتارة أخرى من مسألة فلسفية تعد من اجل المسائل واهمها وعليها ترتكز قواعد الاديان السماوية كلها وهي أن القديم واحد لاغير وهو الله سبحانه وتعالى وأنه وجد في الازل وما عداه حادث ومخلوق (32)موظفاً إياها في مدحه للخليفة.

ولما كان ابن حزم الاندلسي عالماً جليلاً وأحد فقهاء المسلمين فقد حرص على التوافق بين الدين والفلسفة او بتعبير آخر توظيف الفلسفة لخدمة الدين فقد يرى أن الفلسفة بما تعني استخدام العقل لمعرفة الاشياء (33)فهي تؤيد نظريات الدين وان الدين يشكل مدداً للفلسفة؛ لان الغاية منهما هي معرفة الله عز وجل ،فمن الثابت عند المناطقة أنّ العلوم الحقيقية التي لايراد بها الا الحق الصريح لاسبيل لاثباتها الا بالبرهان والبرهان عندهم هو قياس مؤلف من يقينيات ينتج يقيناً بالذات(34) فالبرهان هو اجراء عملية في المعلومات الحاضرة لاجل الوصول الى المطلوب، والمطلوب هو العلم بالمجهول وبناءً على هذه نجد ان ابن حزم الظاهري قد وظف هذه الحقيقة لخدمة الفكرة الغيبية التي اراد ايصالها لعامة الناس متكئاً على البرهان عبر يقينين اثنين يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا شعره يتجسد اليقين الاول في الحقائق العقلية من جهة واليقين الثاني في النصّ القرآني من جهة اخرى وغالباً ما يستثمر ذلك التمازج اليقيني في تدعيم افكاره وآرائه المنطقية التي يريد اقناع القارئ بها.نرى ذلك جلياً في دراسته لماهية الحب عبر كتابه طوق الحمامة منتهياً الى فكرة التشاكل في الحب وان سر التمازج بين المخلوقات هو الاتصال في عنصرها الرفيع (35)منطلقاً من قوله تعالى ﴿ وهو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجهاليسكن اليها﴾(36)ليصل الى حقيقة فكرية مفادها "ان لايوجد اثنان يتحابان الا وليس في الاشكال والهيئات وهو اقرب للواقع العلمي والعقلي"(37) يقول (38)

ودادي لكِ الباقي على حسب كونهِ
تناهي فلم ينقص لشيء ولم يزدّ
وليــس له غــير الارادة علّـــة
ولاسببٌ حاشــاه يعلمه احــد
اذا ما وجـدنا الشيء علّة نفســه
فذاك وجودُ ليس يفنى الى الابد

فقد جعل غاية الحب باقية من دون ان تزيد او تنقص لاتفاقها في عناصرها او جوهرها الاول التي خلقت منه.

وقد يعمد الى تفعيل فكرته عبر الشواهد القرآنية التي يذكرها بالشكل الذي لايدع مجالاً للشك في اليقينيات التي يريد اثباتها يقول(39)

أقصر عن لهوه وعن طربه
وعفَّ في حبّهِ وفي عُربــهْ
فليس شرب المدام همته
ولا اقتناص الظباء من اربهْ
الهاه عما عهدت بعجبه
خيفة يوم تبلى السرائرُ بهْ
دعْ داراً تفنى غضارتها
ومكسباً لاعباً بمكتــسبهْ
لم يضطربْ في محــلها احــدٌ
الا نبا حدها بمضطربـــهْ
منْ عرف الله حـــق مــعرفةٍ
لوى وحل الفؤاد في رهبــهْ
فكــيف النـــار للمســـيء اذاً
عاج عن المستقيم من عصــبهْ
ويوم عرض الحساب يفضحه ال
له ويبدي الخفي من ريبـــهْ
من قد حـــباه الالــه ورحمــته
موصولة بالمزيد من نـــشبهْ

ان الترابط الموضوعي في قصيدة الشاعر مبني على تواصل المضامين القرآنية مع النص الشعري هذا الترابط الذي خدم فكرته في التذكر والوعظ فقد بدأ ابياته بدعوة عقلية لترك الملذات واليقظة عما يلهيه وتوعيه القلب بفناء هذه الحياة والتوجه

الى الله والخشية من عقابه ثم يعمد لتفعيل هذه الافكار بنصوص وآيات قرآنية منها قوله تعالى ﴿يوم تبلى السرائر﴾(4.)وقوله تعالى﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾(41)

لقد أفاد ابن حزم الظاهري من القصص القرآني الكريم في بناء شعره الوعظي الحكمي مقدماً تجربته الايمانية التي تقر بفناء الدنيا داعياً الى فضل التعفف في هذه الحياة إذ يقول(42)

فعجل الى رضوان ربك واجتنب
نواهيه اذ قد تجلى منارها
تنادى الى يوم شديد مفزع
وساعة حشر ليس يخفى اشتهارها
اذا احشرت فيه الوحوش وجمعت
صحائفنا وانثال فينا انتشارها
وزينت الجنات فيه وازلفت
وازكى من نار الجحيم استعارها
وكورت الشمس المنيرة بالضحى
واسرع من زهر النجوم انكدارها
وسيرت الاجبال والارض بدلت
وقد عطلت من مالكيها عشارها
فإما لدار ليس يفنى نعيمها
واما لدار لايفك اسارها

فلم يجد الشاعر سوى سورة التكوير خير معينٍ لاقرار صورته الحكمية في ذهن المتلقي. ومما لاشك فيه ان في القرآن الكريم فلسفة انسانية تتعلق بالانسان في مختلف حالاته واوضاعه،بوصفه فرداً في أسر ة او عضواً في مجتمع ولذا فالقرآن وقف على ادق الخلجات البشرية وصورها تصويراً يكاد يشعر المستمع اليها كانه يراها ويرى مراحلها ماثلة امامه ومن ذلك افاد الشاعر في قوله(43)

لك الحمدُ ياربُ والشكرُ ثمْ
لك الحمد ما باحَ بالشكر فمْ
لك الحمد من كل ما حالةٍ
فقد خصني منك فضلٌ وعم
من الماء انشأتني نطفةٌ
ومن بعد ذلك لحمٌ ودمْ
وأسكنت في جسدي روحهُ
وأجعلتها في طباق الرحم
وأخرجتني بعدُ في عالمي
وبلغتني درجات الفهمْ
فمنك لي البصرُ المقتفي
وسمعٌ وذوقٌ ونطقٌ وشمْ

مستقياً جل افكاره من قوله تعالى﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين۞ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ۞ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظم لحماً ثم أنشأنه خلقاً أخر فتبارك الله أحسن الخلقين﴾(44)

وفي موضع آخر نجدهُ يتخذ من قوله تعالى ﴿وهل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾(45) مادته لاثبات فكرته في الشكوى من الحبيب وتلك الفكرة التي جزأها الى افكار توحي للقارئ وكأنه امام عملية حسابية لقضية فلسفية يريد اثباتها يقول(46)

معهود اخلاقك قسمان والدّهر فيك اليوم صنفانِ
فأنك النعمان فيما مضى وكأن النعمان يومانِ
يومُ نعيم فيه سعدٌ للورى ويوم بأساء وعدوان
فيوم نعماك لغيري ويو مي منك ذو بؤس وهجران
اليس حبيّ لك مستاهلاً لان تجازيه باحسانِ

هوامش المبحث الثاني

1- تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة):322
2- ينظر ابن حزم الاندلسي شاعراً (دراسة مضمونية فنية)
3- المورد:117/3
4- ينظر ابن حزم المفكر الظاهري الموسوعي:14
5- المورد:79/2
6- المصدر نفسه:84/1
7- ينظر فلسفة ابي العلاء مستقاة من شعره:36
8- المورد:97/1
9- ينظر مقدمة في علم الاخلاق:97
1.- المورد:1/5.
11- المصدرنفسه:99/4

12- المصدر نفسه:1/5..
13- المصدر نفسه:71/2
14- ينظر قصة الفلسفة اليونانية:27/1
15- ينظر المختار في اصول الدين الاسلامي:41-42
16- ينظر في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام:13
17- ينظر المصدر نفسه:13
18- ينظر فلسفات اسلامية:4.2
19- ينظر قصة الفلسفة اليونانية:142
2.- ينظر المصدر نفسه:142
21- ينظر في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه:15
22- المورد:74/2
23- المصدر نفسه:79/2
24- المصدر نفسه:8/2.
25- المصدر نفسه:1.1/4
26- المصدر نفسه:97/1
27- ينظر فلسفات اسلامية:1.6
28- ينظر المصدر نفسه:1.6
29- قصة الفلسفة اليونانية:14.
3.- المورد:1/5..
31- ينظر في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام:14
32- ينظر فلسفات اسلامية :382
33- ينظر المصدر نفسه:74
34- ينظر قصة الفلسفة اليونانية:25/1
35- ينظر طوق الحمامة:95
36- سورة الاعراف آية89
37- طوق الحمامة:95-96
38- المصدر نفسه:94
39- المورد:8/2.
4.- سورة الطارق:9
41- سورة الاحقاف:آية34
42- المورد:8/2.-81
43- المصدر نفسه:5/95-96
44- سورة المؤمنين:آية12-14
45- سورة الرحمن:آية6.
46- المورد:1/5..

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للاتجاه الفلسفي في اشعار ابن حزم الظاهري اود ان اتقدم بأيجاز الى اهم ما توصلنا اليه من نتائج.

1- كان ابن حزم الظاهري ذكياً سريع الحفظ واسع الاطلاع الاطلاع متقانياً في طلب العلم أوتي مواهب خاصة به منحته القدرة على تناول مختلف العلوم واستيعابها انفرد دون غيره من مشايخ ذلك العصر حتى عَّد موسوعة علمية في مختلف المجالات .
2- لقي ابن حزم الظاهري من جراء طبيعته الجدلية عنتاً كبيراً من معاصريه وقد جلبت عليه آراؤه المتميزة ونظراته الثاقبة والاخذ بالتفسير الظاهري لنصوص القرآن والسنة مهاجماً في ذلك اهل القياس واصحاب الرأي سخط الفقهاء في عصره .فجعلوا يجهدون في الكيد له ومن ثم حرق مؤلفاته ونفيه عن وطنه.
3- كان ابن حزم الظاهري مفكراً ممتازاً ثاقب النظر دائباً على البحث امتاز شعره بغلبة المعنى على اللفظ والافكار هي قوام الاشعار لديه والعقل هو الذي يلف اكثر ادبه وذلك بحكم تكوينه الفكري والعلمي.
4- يمثل ابن حزم الاندلسي ثورة في تاريخ الاندلس الفكري فرغم المصاعب والعقبات التي تتجلى في موقف الفقهاء ورجال الدين من الشعر الفلسفي إذ يجدونه مزلقاً من مزالق الكفر والالحاد فضلاً عن انصراف الاندلسيين عن التعقيد والتركيب والتفلسف ثبت شاعرنا ووقف صامداً ينشر آراءه ويدافع عنها فكان ظهوره سبباً في تقدم الفكر الحر خطوة للامام فقد عمد الى صياغة آرائه وتأملاته في الوجود عبر شعر طابعه وجوهره الحكمة والفلسفة.
5- لم يكن ابن حزم الظاهري فيلسوفاً انما تأثر باسلوب الفلاسفة والمتكلمين وأفكارهم وضمنها شعره وقد تجلت هذه الفلسفة في شعره على اتجاهين اثنين اولهما الاتجاه الظاهري والاتجاه الباطني.
6- كرس ابن حزم الاندلسي الاتجاه الظاهري من أشعاره لمعالجة قضايا اجتماعية ونواحٍ اخلاقية فقد ضمن اشعاره الفاظ المناطقة والمتكلمين .

7- كثير ما يجنح الشاعر عبر الاتجاه الباطني –الى التلميح دون التصريح مؤثراً المعاني البعيدة وطرائق التعبير الباطنية مما جعل جانباً من شعره يتسم بالتجريد ولايسلس على القارئ العابر بيسر وهي سمة تكاد تكون فريدة في ابن حزم الظاهري وقلما اتسم بها غيره من شعراء الاندلس .

8- نزعته الفلسفية تنم عن عاطفة ومحبة وقيم خلقية رفيعة ظهرت عبر اقتباسه لآيات قرآنية وتضمينها شعره بما يخدم فكرته التي يريد بثها للناس.

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

2-1ابن حزم الاندلسي – حيانه وادبه،عبد الكريم خليفة،دار العروبة،بيروت.د.ت

3- ابن حزم الاندلسي – شاعراً- دراسة مضمونية فنية(رسالة ماجستير)،صادق جعفر،مقدمة الى كلية الاداب – جامعة القادسية ماجستير ،اشراف هادي2..5م

4-ابن حزم الاندلسي،صورة اندلسية- طه الحاجري ،دار الفكر العربي،د.ت

5-ابن حزم الاندلسي- المفكر الظاهري الموسوعي،زكريا ابراهيم،الدار المصرية،للتأليف والترجمة،د.ت

6- ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة،حكم توفيق ابوزهرة،ط2،القاهرة،1956م

7-ابن طفيل قضايا ومواقف،مدني صالح،دار الرشيد للنشر،198.م

8-اتجاهات شعر الغزل في عهد الطوائف (رسالة ماجستير)،انقاذ عطا الله حسن،رساللة ماجستير مفدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد1986

9-الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة،احمد هيكل ،ط3،مصر،دار المعارف1967م

1.- تاريخ الادب الاندلسي(عصر سيادة قرطبة)،د.احسان عباس،ط2، دار الثقافة بيروت،1969م

11- تاريخ الادب العربي الى آخر عصر ملوك الطوئف،د.عمر فروخ،دار العلم للملايين،ط2، 1984م

12- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ،ابو عبد الله محمد بن الفتوح دار المصرية للتأليف والترجمة1966م.

13- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،ابن بسام :ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني،القسم الثاني منه مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم 2347ادب)،ت542هـ

14-شعر ابن حزم الاندلسي- القسم الاول والثاني والثالث والرابع والخامس - جمع وتحقيق،عبد العزيز ابراهيم،مجلة المورد،الاعداد2،1، 4 1998/1999/2...م.

15-الشعر في ظل بني عباد،محمد مجيد السعيد،النجف،مطبعةالنعمان1972م.

16-الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس،د. محمد مجيد السعيد دار الرشيد للنشر 198.م .

17- الصلة في تاريخ أئمة الاندلس،ابن بشكوال:ابو القاسم خلف عبد الملك(ت578هـ)،القاهرة،مطابع سجل العرب1966م.

18- طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الاندلسي،شرح صلاح الدين القاسمي ،دار الشؤون والثقافة،بغداد،1986

19-الفصل في الملل والاهواء والنحل :ابو محمد علي بن حزم ،ط2،دار المعارف للطباعة والنشر ،بيروت1975م

2.- فلسفات اسلامية،الشيخ محمد جواد مغنيه،مؤسسة دار الكتاب الاسلامي،ط1، 2..6م

21- فلسفة ابي العلاء مستقاة من شعره،حامد عبد القادر،القاهرة،مطبعة لجنة البيان العربي،195.م.

22- في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقها،محمود قاسم،ط2،مصر ،مطبعة دار المعارف 1967م.

23- في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق واليونان،د.محمد قاسم،مكتبة الانجلو المصرية،1949م

24- قصة الفلسفة اليونانية،احمد امين وزكي نجيب،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1948

25- المختار في اصول الدين الاسلامي،د.قحطان الدوري،دار الرشيد للنشر،199.م

26- مختارات من الشعر الاندلسي،محمد رضوان الداية،بيروت،197.م

27-المغرب في حلى المغرب،ابن سعيد :ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الاندلسي(ت685هـ)،تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط2،مطبعة دار الكتب بمصر1964م.

28- مقدمة في علم الاخلاق،د.محمود زقزوق،الدارالاسلامية للطبع والنشر بالمنصورة،ط4، 1948م

29- ملامح الشعر الاندلسي،عمر الدقاق،مطبعة دار الشرق العربي بيروت د.ت

3.- موسوعة شعراء الاندلس،عبد الحكيم الوائلي ،عمان،دار اسامة،ط3، 2..9م

31- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،المقري:احمد بن التلمساني(ت1.41هـ)،تحقيق الدكتور احسان عباس،بيروت،دار صادر1968م.

32- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،ابن خلكان:ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت681هـ)،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة بالقاهرة 1948م